



هانزيكون فويكت

أغاني الفجر

ترجمة
نامق كامل



مجاناً مع جريدة الإتحاد

الاتحاد

رئيس التحرير
فرياد رواندزي

موبايل ٠٧٩٠١٣١٠٢٣٢
هاتف ٥٤٣٨٩٥٨-٥٤٣٨٩٥٤
E-mail:Ittihadpress@yahoo.com



سلسلة شعبية تعيد إصدارها

دار المدى للثقافة والنشر

رئيس مجلس الادارة والتحرير
فخري كريم

الاشراف الفني
محمد سعيد الصكار

سورية - دمشق- ص. ب: ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ فاكس : ٢٣٢٢٢٨٩
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy
لبنان -بيروت- الحمراء- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول
تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb
العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣
almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com



١٩

هانزيگون فويكت

أغاني الغجر

ترجمة: نامق كامل

طبعة خاصة
توزع مجاناً مع جريدة (الاتحاد)

دار المدى للثقافة والنشر
٢٠٠٦



المقدمة

- ١ -

من الصعوبة أن يجد المرء تعريفاً محدداً وواضحاً لأشعار الغجر . قد يكون الوضوح والحدة سمة هذه الأشعار التي وجدت دون أن تدوّن . واستمرت متطورة ومتفاعلة مع الحياة القاسية لهذا الشعب الذي لا يلين له عود . وبإمكان الغجر أن يفخروا بشعرهم عندما يكون هذا الشعر صادقاً ومعبراً في داخله عن الحقيقة والسمو في اللغة والفكر ، عندما يكون أكثر من مجرد إشارة أو همسة ، عندما لا يكتم الحقيقة ولايجمّل القبيح ، وعندما يعبر عن النفس والمشاعر والرغبات والشكوى . .

واستطاعت هذه الأشعار أن تظهر الى العالم دون وسيط من المصادر الأدبية أو الشعراء الأعلام أو التعاليم النظرية في علم الجمال . واستفاد من شعرهم الكثير من الشعوب والأقوام حتى استطاعت هي ذاتها أن تكون مصدراً للشاعر الاسباني الكبير «غارسيا لوركا» .

«أشعار الغجر»! إنها تماماً مثل أشعار أي شعب آخر يمتلك أدواته ومناخاته الشعرية الخاصة . فهي تتسم بالطفولة والسذاجة والبساطة والمباشرة . وهي تعكس الى جانب كل هذا عادات التجوال الذي لاينتهي : عيون متسائلة ، مغنون مجهولو الهوية ، حظائر حيوانات ،

خطف وسرقة خيول ، حيرة في مواجهة عالم غريب ، مؤاساة للغربة ، جراحات ، وخجل من القسوة الفاضحة . وماذا تعني الطفولة عندهم ؟ أولئك الذين لايشبعون أبداً من الزركشة والبهرجة والتزين بالحلي ؛ ثياب من الحرير والمخمل ، أشعار عن الخيول وتغن بالأساطير والحكايات التي ترمز لها العابهم ، وحرية لا تقاوم لامتلاك المكان .

ليس عبثاً أن تحدثنا الأساطير كيف أن أم الغجر قد غمرتها السعادة حين رأت أطفالها في الجنة . ولم تتمالك نفسها من الضحك . . أن مروج السماء تروّض أبناءها الذين كانوا أكثر جموحاً من الخيول الهائجة .

تاريخ غير مدوّن . تاريخ الأوديسة السمراء . تيهٌ بلا نهاية ، لايعرف الراحة ، لا وطن له ، ليس له من عودة . إنها أوديسة تجوال الكستناء التي تعلمت أن تضحك على كل شيء وتلعب على أوتار الربابة .

سرقة الخيول ، صهر النحاس ، ترميم الأواني ، ضرب الخيام ومد يد التسوّل . ومد الساق أمام الغريب . وعندما يكون مخموراً أو غيوراً عند ذاك تُستّل السكين . لقد نسي طفولته ، وهكذا من دون بداية يبحث عن الاصالة والمنشأ . إن مغزى البحث عن الوجود شيء مبهم بالنسبة إليه ، وهكذا يخيم عليه هذا الحزن العميق . لا وقت لديه للالتفات الى الوراء ورؤية الطريق التي جاء منها . فطريق العودة مقفلة .

إنه تيه أسطوري . يمتطي الغجري حصانه اليافع ثم يركن الى قدره ، دون أن يحلم في إيجاد مكان له . بغيته الشرف الإنساني والاعتقاد بأن وجوده على هذا الكوكب هو أكثر من صدفة .

في نقاء شعر الغجر تكمن التراجيديا . الحياة - هي هذا الظهر المنحني المستعبد ، تبدو بسيطة وساذجة ، ولكنها دفاع عنيد وذكي ، وهروب متواصل ليس له حدود .

والغجري ميال الى الخرافات ، وفي نفس الوقت ، قادر على أن يحترس من أي كان . ملجأهُ هو انسلاله على ظهر حصانه أو ركونه الى عربة مُكسّرة الدواليب . ويجد الغجر طريقتهم الخاصة في الدفاع عن أنفسهم . إنهم متسلحون بسلاح الصبر ومتحررون من الشوق الى مدفأة عائلية أنيسة . لقد طُوّعوا من الخوف .

إن دائرة الموضوع في شعر الغجر محددة : الفقر ، الجوع ، السعادة والغيرة . توتر متأجج للشعور والعاطفة . تفكير قاحل . والحب عنيف تتدفق فيه الدماء الحارة . وتختفي في قصائد الحب رقة « خشنة » والدلال في نقض العهد والاعتذار بالتهديد . الغيرة والحسد يأخذان طريقهما الى السكين . وفي حالة النقض يلوّح بها ، إلا أنه يعود الى رشده ، إنها ليست الوحيدة في هذا العالم ، سوف يقبل على الحب ثانية . . أكثر عنفاً وعشقاً . السكين تعود الى غمدها ، ثم يبدأ يغني ويعدد فضائل الحبيبة . إنه مستعد أن يترك أمه وأباه . لكنه في النهاية يتراجع : « كلا ، لن أفعل ذلك! » .

إن شكوى الغجري غير محتملة عندما يعاني من الجوع . عاجز كالأطفال عندما يجوعون . إنه لايبغي أكثر من قطعة لحم أو حساء الكرنب ، أغنيته هي شكوى متسوّل ولا تختفي تحت صورة كاذبة . . . إنها لاتتخذ شكل الضياء المتوهج والبهرجة ، وفي ذات الوقت فهي ليست عديمة القوة . الخيال في حده الأدنى مجرد . الهدف واضح : يريد إثارة الشفقة . وعلاقته بالخالق ربما هي العلاقة الأوثق . تديّن دون إيمان .

تكمن القيمة الأساسية لأشعار الغجر في كونها تنقل لنا الاصالة والحقيقة الموضوعية ، وليس في تجميل وزخرفة الملحقات ، بل هي وليدة إشعاع اللحظة . تشنج بعيد عن اللغة . نقاء وتأكيد مباشر على الموضوع دون تورية أو تغليف . بساطة بعيدة عن التلميح والميوعة الزائدة .

لم يتوقف الجوّال الكستنائي الأسمر عن ترحاله الكبير . على ظهر حصانه المائج جاء يطوف حول العالم . لم يأخذ من العادات الغريبة شيئاً ، لم يفضل الجمال الأجنبي على شَعْرِهِ الأسود . لم يجد إلهاً . أنيسته اللاخيمة ؛ إنها أكثر ضماناً وأمناً ، والقدر يحمله دائماً الى الطرقات المفتوحة ، كما لو أنه مُثْقَل باللعنة . يُحدثُه هاجس ما أعلى من الحياة . وعندما يلتقي بمجاميع الحضر يتجنبهم بمهارة ليمضي بعدئذ في طريقه . سلاحه الهروب وخلق الشعر الذي لايعلم هو ذاته عنه شيئاً .

- ٢ -

حينما يأخذ الباحث على عاتقه مهمة تتبع آثار الغجر منذ الأزمنة الغابرة ، لابد وأن يقع في بعض الالتباسات التي من شأنها أن تثير الشك . إذ أن هناك شعوباً لم يعرف منشؤها بصورة دقيقة وهذا ما ينطبق على شعوب الغجر . فهناك من ظن أنهم قد وفدوا من بلاد ما بين النهرين ، والآخر افترض أنهم من مصر أو شمال أفريقيا أو أثيوبيا . إلا أن علم تاريخ وسلالة الشعوب استطاع في النصف الثاني من القرن الماضي أن يجزم بشكل قاطع على أن الموطن الأصلي للغجر هو الهند .

خلال التجوال الكبير لشعوب آسيا ، الذي استغرق عدة مئات من السنين ، نزحت بعض الشعوب بشكل خاص الى الحدود المتاخمة لبلدان الأقوام ذات العرق الأصفر والأبيض والى ضواحي بلاد فارس وتركستان والبلدان المجاورة لها . وعندما اتجهت موجات الغزو الى الجنوب حلّ الاضطراب في الأقوام المهاجرة الى شمال الهند ، كذلك انقسم شعب الغجر الصغير الى عدة أقسام منسلخاً عن مجتمعه الذي احتواه من قبل . وحتى ذلك الحين عاش عند بوابة الهند الكبيرة المتجهة نحوها موجات الغزو قرب المضايق المائية وبين الممرات الجبلية والسفوح

والأراضي المرتفعة . ولم يحتمل الغجر موجات الغزو هذه ، لذا غادرت قبائلهم البلاد متجهة نحو المجهول .

إن الشاعر (الفردوسي) ، الفارسي الأصل ، قد أشار في «الشاهنامه» الى كيفية انقسام قبائل الغجر . فقد ذكر أن الملك الفارسي بهرام گور (القرن الخامس الميلادي) التمس من ملك الهند (شانكور) أن يبعث إليه بخمسة آلاف مهرج مع آلاتهم الموسيقية وأغانيهم من أجل الترفيه عن رعاياه البؤساء . فأرسل له قبيلة تدعى «لوري» ، لم تكن هي نفسها أكثر من قبيلة بائسة وفقيرة . وبعد أن أدوا مهمتهم كوفئوا وكرموا ، إلا أنهم في الحال فقدوا هذه الامتيازات فقرروا مغادرة البلاد ثانية ، فانسحبوا وتوزعوا حول الطرقات وشرعوا بعمليات سلب المسافرين والقيام بأعمال قطاع الطرق دون تمييز .

أما الشاعر حمزة الاصفهاني (عاش قبل الفردوسي بنصف قرن) فإنه لم يجد حتى الكلمات المناسبة ليقولها في هذه القبيلة الفقيرة . وفي ذلك الوقت نشأ ما يسمى بـ «الأسطورة اللورسية - نسبة الى قبيلة من الغجر كانت تسمى بهذا الاسم -) وحتى يومنا هذا لاتزال هناك في إيران مقاطعة واسعة تسمى لورستان ، حيث يقطن فيها بعض القبائل الرحل من طراز الغجر .

فيما بعد اتجه الغجر شطر الغرب . ومن حين لأخر كانت قوافلهم تتوقف عند الجبال التي ربما تذكرهم بموطنهم «التبت الصغرى» . وفي يوم ما وصل الغجر الى أرمينيا وأقاموا حول آرارات . ملتقى الحضارات القديمة الثلاث ومراكز التجارة - أرض وادي الرافدين وأرض هيلانه في اليونان ومصر - فكان المكان المناسب لهذا الشعب المشرد . وهناك كانت لهم بداية جديدة . وربما لم تكن بداية استقرار حيث استمرت هجرتهم باتجاه الغرب بسبب ممارسة بعض القبائل العنف ضدهم ، فوصلوا الى الأناضول وعاشوا سوية مع شعوبها . وفي نهاية القرن التاسع تواجد الغجر عند أطراف الامبراطورية البيزنطينية . ومرة أخرى تركوا

وراءهم آلاف الكيلو مترات ووصلوا حتى بحر ايجه . غالباً ما كانوا يعيشون كمجموعات منطوية على نفسها . وعلى أعتاب أوربا انقسموا على انفسهم وشكلوا المجاميع المختلفة ، وإحدى هذه الجماعات توجهت الى جنوب اليونان . وفي جنوب اليونان أقاموا في شبه جزيرة بيلون ، التي اتخذت فيما بعد اسماً ثانوياً هو « مصر الصغرى » ، أقاموا فيها قرابة ثلاثة قرون .

ثم استمرت الهجرة الى أوربا . ففي القرن الخامس عشر جاء القسم الأعظم من الغجر عبر البسفور ، وظهروا في أرض (تراقيا) في شبه جزيرة البلقان . ومن هناك انقسموا وتوزعوا مرة أخرى . أما المجموعات المهمة ، فقد كانت مجموعات الملك زندل ، الفويفودون (وهم من النبلاء) ، اندريا ، مهاجو وباندل .

وكانوا في القرن الرابع عشر قد التقوا في مملكة دوزان (سنة ١٣٤٣) القيصرية ووقفوا في عهد ازدهار الامبراطورية الصربية أمام الغزو (التركي) . وبعد حين ظهروا في الأراضي الرومانية ثم في بلاد بوهيميا . وخلال القرن الخامس عشر غطوا أراضي ألمانيا ، انكلترا واسبانيا ، وهناك مجموعة أخرى اتجهت نحو روسيا . والآن يعيش خمسة ملايين غجري موزعين على مختلف القارات .

الفرنسيون يسمونهم المصريون والانكليز يسمونهم جپسي والاسبان جيتانو والألمان كفتر أو تسيكويز والمجريون سيكانيوك أو فارانو . وفي يوغسلافيا يحملون عدة تسميات ؛ منها : كيبتاني وجدجوبي . والأتراك يسمونهم كيبته واليونانيون كيفته والألبانيون أفكيت .

وفي فرنسا يسمونهم كذلك البوهيميون . فمن أين جاءت إليهم هذه التسمية ؟

لقد حمل أوائل الغجر ، الذين قدموا الى فرنسا ، معهم رسالة توصية من بوهيميا وبهذا اكتسبوا اسم البوهيميين ، وتعني أناس من

بوهيميا . ثم سمي بهذا الاسم كل من يعيش على شكل وطراز معيشة الغجر .

إن أصل لفظة الغجر ، والتي يغلب انتشارها بين سلافيي وسط أوربا باسم «سيكانين» ، لاتزال غير واضحة . ويفترض أنها نشأت من أصل الكلمة «تسانكار» وهو اسم يطلق على أحد الأقوام الهندية في كشمير والتي لغتها لاتزال حتى الآن تتشابه بعض الشيء مع لغة الغجر .

لا يرغب الغجر مناداتهم بهذا الاسم . إنهم يقولون نحن (روم) ، وكلمة (روم) تعني الى حد ما إشارة الى «الإنسان» ، وهي إشارة متفق عليها بين كل الغجر في العالم . ويطلق على الغجر الألمان اسم (زينته) وهي شبيهة بكلمة «زند» ، التي تطلق على أحد الأقاليم في غرب الباكستان .

ليس هناك شعب تعددت فيه التسميات بهذا الشكل ، وعلى سبيل المثال : (تزاي ، تزنكي ، نادفارا ، كاراتشي ، زوت . . .) وفي شمال أوربا يسمونهم التتر . ومثلما اطلقوا عليهم الأسماء المختلفة كذلك أطلقوا عليهم الصفات المختلفة ، التي لاتمت إليهم بصلة .

في أوربا سدت في وجوههم جميع الأبواب ومورس ضدهم التمييز العنصري ، ودارت الشكوك حولهم واتهموا بالشعوذة والسحر والقتل وسرقة الأطفال وجلب الدمار والوباء للبلد الذي يحلون فيه وأشير إليهم كطريدي العدالة . وأصدر الأقطاعيون وأمراء البلدان أمراً بشنقهم أو حرقهم وهم أحياء أينما وجدوا وبذلك بلغ عدد ضحاياهم ما يقارب مئة ألف إنسان . وشهدت هذه الفترة أعنف موجة دموية في تاريخهم . وكانت أوربا هي المسؤولة عن هذه المجزرة .

وشيئاً فشيئاً فقدوا عاداتهم وتقاليدهم وسعوا على الدوام الى إخفاء جنسهم وهويتهم . وحتى لا تغرب الشمس عنهم اتصلوا بالعالم مرة أخرى .

إن ماريا تيريزا ملكة بوهيميا والمجر قد وفَرت لهم الملجأ ، ولو تحت شروط معينة . فمثلاً كان يجب عليهم المشاركة في بناء وتعمير البلد والدخول الى المدارس وأداء الخدمة العسكرية وأن يتخلوا عن استعمال لغتهم الأم ، وأن لايمارسوا بعد الآن أعمال التسلية والتهريج في أنحاء البلاد . كذلك سُمح لهم بشكل مستمر مزاولة الأعمال الحرفية التي تتفق وطراز حياتهم ، وعملوا في سباكة القصدير والنحاس وتجارة الخيول .

في بعض البلدان الأوربية انتخب الغجر مقاطعات حكمهم الذاتي كما في يوغسلافيا وحتى ملوكهم أيضاً . وفي المجر لهم تجمعاتهم الخاصة التي تدعى «بالماليجة» ، وتعتبر هي المسؤولة عن مقاطعات الحكم الذاتي في يوغسلافيا . وفي الآونة الأخيرة حققت استقلالها . ومن المألوف حتى يومنا هذا أن نلاحظ أن «الفوري داي» ، وهي القبيلة الأم ، لها الكلمة المسموعة .

كان على الغجر والحالة هذه أن يتأقلموا مع ظروف حياتهم الجديدة وهذا يعني أن يحتفظوا بتقاليدهم ولغتهم . إن حلمهم في ماضيهم الطويل وحلمهم في العودة احتفظوا بهما كتعبير عن حرية هذه القبائل الرحل . إن حلمهم في العودة أصبح على مرّ القرون غير ذي شأن . وإن الآمال المعقودة من أجل تجمع جديد قد أصبحت محض خيال ، ذلك أن الماضي لم يترك لهم سوى مرارة التجربة . وتجربتهم تقول : لم يبق شيء إلا الهروب . الخيول والهروب في المجهول .

أما بالنسبة الى لغتهم ، فإنها نادراً ما تستعمل للكتابة . ومن جهة أخرى نلاحظ فيها شيئاً من قواعد اللغة الهندية الجديدة المشتقة بشكل غير مباشر من اللغة الدراجة لوسط الهند ، ولذا فهي تبدو غريبة على اللغة الهندية السنسكريتية . وفي موطنهم الأصلي استعاروا من الفارسية بعض الكلمات كما وانتقلت إليهم كلمات أخرى من اللغة الآرامية . وبعد وصول الغجر الى دول البلقان بدأ تأثير لغات الشعوب المجاورة

على لغتهم مثل اللغات السلوفاكية الجنوبية واليونانية والرومانية والهنغارية ولغات أخرى .

ومع أن للغة الغجر تأثير واضح على اللغات الهندية الجديدة فإن أوجه الشبه بينهما ليست بكثيرة لكي يكون بالإمكان فهم الغجر والهنود بعضهم لبعض .

وتعتبر لغة الغجر لغة مركبة من أشكال عديدة . وهناك أصوات تبدو لنا في بعض الأحيان غريبة . وتكمن هذه الغرابة بشكل خاص في تعدد هذه الأصوات وتعدد طرق نطقها . وللغة الغجرية أداة تعريف أيضاً ولها ثماني حالات من حالات الإعراب . لكنها تفتقد الى المصدر . وتحت تأثير لغات الشعوب المستوطنة انقسمت اللغة الغجرية على نفسها الى عدة لغات محلية بعضها احتفظت بشخصيتها المستقلة . ولهذا السبب لايستطيع على سبيل المثال غجر يوغسلافيا أن يفهم غجر اسبانيا ، مع أن أصل الكلمات لجميع هذه اللهجات المحلية تقريباً واحد .

إن الأغلبية الساحقة من الغجر يعيشون اليوم في وسط وجنوب أوربا . وقد صُنف الغجر الأوربيون الى مجموعتين رئيستين هما الغجر الرومانيون والغجر غير الرومانيين . وعند مطاردة وملاحقة الغجر في يوغسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية بقي منهم ما يقارب مئة ألف غجري ينتمون الى هذه المجموعتين الأوربيتين الرئيسيتين .

– ٢ –

إن الأغاني الغجرية التي تتضمنها هذه المجموعة قد جمعت عبر سنين عديدة ودونت مباشرة عند إلقائها من قبل «مغنٍ» ، والصفة المميزة لهذه الأغاني هي الارتجال ، وتغنى في جول تلقائي دون أن يفكر المغني أن يحفظها يوماً ما أو يسجلها بشكل من الأشكال ، ذلك أن هدفه منها هو اللهو فقط . وفي الواقع فإن هذه الأغاني تخدم المغني عند

تجواله عبر البلاد أو عند إقامة الأسواق السنوية أو في المناسبات أو الأعياد . يبدأ المغنى بطرح موضوع ما ثم يلتقيه آخر ويكمله ويضيف إليه ويستمر .

تفتقر أغاني الغجر الى السعة الملحمية . وتتميز بنفسها القصير وبعدم الاكتراث وببريق لحظتها القصيرة ، ونادراً ما تتخذ هذه الأغاني شكل القصيدة المعروف . وبالرغم من قصر بعضها ، وحتى المرتجلة منها ، فإنها لم تتطور كثيراً .

هناك ملحمتان غنائيتان معروفتان إحداهما تغني موت الملك اسكندر والثانية تحكي معاناة الغجر في المعسكرات الفاشية أثناء الحرب(*) الثانية .

وهناك بعض الأغاني تغنى بعدة لهجات عامية مختلفة وعندما يغني الغجر الهنغاريون أغنية صربية فإنهم في نفس الوقت يستخدمون مزيجاً من عدة لهجات . ويحدث أحياناً أن تعبر مثل هذه الأغاني في أبياتها عن الخلافات القائمة بين القبائل الغجرية . والمغني الغجري يتجاوز في أغلب الأحيان على حرية الشعر المتعارف عليها ، وعندما لايجد القافية المناسبة يدخل لحناً جديداً أو يهمل آخر .

أما الأغاني الصربية والمقدونية والكرواتية فإنها دائماً ما تصب بأشكال جديدة ومتغيرة وتميل عادة الى الصورة الخيالية المبسطة ، إذ أن الأصل تقريباً مفقود .

يستهل الغجري أغنيته ثم يبدأ بدلاً من استعمال الأبيات الشعرية سرداً نثرياً دون أي إيقاع ويفترض بها أنها كانت أغنية يوماً ما ، ولكنها لم تبق في ذاكرته . يتأمل المغني ويسترجع موضوعه وعندما يتحقق منه ويناله يبدأ بالغناء (أو السرد) وعندما يلاحظ أن أغنيته

(*) - الملحمتان المشار إليهما لم تتوفرا في الأصل الألماني .

ضعيفة ولاتعبر عن مشاعره وأحاسيسه ولم تحقق غرضها يتحول الى الارتجال ومن ثم الى النثر .

قد لاتنسجم بعض هذه الأغاني مع نصها الأصلي إذ لابد من تصرف المغني بها وقد يكون هذا التصرف غير موفق أحياناً . لذلك تحتم علينا إنقاذ استعمالات وعبارات جميلة وانقاذ مغزاها الأصلي من الارتجال وما نتج عن عدم المبالاة .

وكان لابد أيضاً من بعض المراجعة والتنقيح حرصاً منا على أهمية هذا الشعر . إن رفعة هذه الأغاني وخصوصيتها لم تتضرر ، بالتأكيد ، جراء هذه المراجعة .

القصائد

الفارس وحصانه

بعيداً سافرتُ . بعيداً .

لم أسقِ حصاني ماءً

متعبٌ حصاني ، يكاد يموت تحت سرجه .

أشجعه بصوت رقيق .

أناغيه مثل طفل .

وأقول له إني أحبه .

متعب حصاني ، متعب حتى الموت .

بعيداً مضينا ، بعيداً .

ابْيَضَّ من الرغوة ، وعرفه ينضح عرقاً .

يئن تحتي . أتوسل إليه

أن يصبر . أقول له : اجرِ أيها الطيب

قريباً سنصل البيت .

يميل رأسه ، يتطلع إليّ ،

بعينين مثل عيني أمي

العيون الطيبة تستطيع أن تكون جدّ حزينة .

بعيداً مضيتُ . بعيداً .

لم أسق حصاني ماءً .

اجرِ أيها الطيب! خلف الجبل

حيث الخيمة البيضاء ، خيمة الجميلة .

وحيث نبع الماء

والشوفان الذهبي ،

تغور بهما

حتى الجبين .

حين يأتي الصيف

حين يأتي الصيف ،
أذهب عبر النهر
وأبتاع لي حصاناً ثعلبياً أحمر
وحصاناً آخر مرقط القوائم .
لا أشتريهما لأحتفظ بهما
بل لأبيعهما ثانية .

سرقة

مرحى يا إلهي ، ما هذا الذي فعلناه!
سرقنا خيولاً ،
ربطناها الى العربات
وهربنا بها بعيداً ، بعيداً .

احتراس

أسرع أيها الأخ ، أسرع!

لنتجنب المدينة ،

وإلا أمسكوا بنا عند الجسر

على الجسر يقف السادة الكبار ،

رجال الضرائب

إنهم يطالبونني بهوية

ولكن لا أملك هوية ولا وثيقة ،

ماذا أفعل ، عندما لا أجد

وثيقة لحصاني ؟

ماذا أفعل ، عندما يدركني الأوغاد

رجال الضرائب ؟

آلام الحب

انظري حسب يا أماه ،

إن الصبي يبكي من أجلي

دعيني يا أماه ،

لأنام معه .

دونه لا أستطيع النوم

إنه يبكي .

لايترك ذهني أبداً .

أبقى يقظة طول الليل

دعيني يا أماه ،

لأنام معه ،

كي يدفئ روحي .

ايه، فنچيا

اذهبي ، وتوسلي الى السادة الكبار
فنچيا ، أيتها السمراء
توسلي بعينيك الجميلتين ،
وإن أمكن بساقيك
فنچيا ، توسلي من أجلي!
وإذا حكموا علي بسنتين ،
سأعود إليك يا جميلتي ثانية
وإذا حمّلوني عشر مرات -
فنچيا ، ماذا أفعل بعد ؟
سأشنق نفسي
هناك على الشجرة

على غصن أخضر

يسقط بعدئذٍ عليك . .

توسلي إذن!

وإن لم تتوسلي من أجلي

فلتسقط هذه السماء الواسعة عليك .

وإن لم تتوسلي من أجلي

فليتيبس الحليب في صدرك .

السادة الكبار عيونهم مفتوحة

لجمالك .

سبعة في زنزانة

سبعة يرقدون في زنزانة .

سبعة بكاءات . سبعة أحزان .

سبع وسبعون ليلة

يرقد السبعة في الزنزانة .

إلهي ، كيف تستطيع أن ترى هادئاً ،

هذه التعاسة الحالكة السواد سبع مرات .

هبْ رحمتك وتعالَ

بمفاتيحك السبعين ألفاً .

أفتح باب السجن .

سبع مرات ستهرع

العتمة الى الشوارع

لتبارك اسمك .

متعة احتفال

يوم – القديس – جورج!
ما أروع أن تكون ثملاً
في يوم – القديس – جورج!
كل الغجر سكارى ،
إلا عمي فهو يقظ .
كل الغجر فرحون ،
إلا عمي فقد ترك لحيته تتدلى .
لقد أكل وشرب ، ولكن لم يثمل بما فيه الكفاية .
إلهي ، بارك هذه المائدة ،

أيها الرب ، يا مالك الحياة والسعادة

في يوم – القديس – جورج

ما أروع أن تكون ثملاً

في يوم – القديس – جورج

هيّا! أيها الناس ، أوقدوا الشموع

ليوم – القديس – جورج

كم هو جميل أن نكون سعداء

في يوم – القديس – جورج

سأهيء مائة بندقية

أين سأجدها ؟

وكيف سأجلبها الى هنا ؟

لكن اليوم هو يوم – القديس – جورج

ما أروع أن تكون ثملاً

في يوم – القديس – جورج

سأهيء مائة بندقية

وينبغي أن تطقطق مثل الخشب في النار

لقد شربت نبيذاً وكحولاً حاداً

وأغرقت عقلي

مرحى ، ما أروع أن تكون ثملاً

في يوم – القديس – جورج

لاتحدث أحداً بما قلته .

لاتحدث أحداً!

***

الجميلة

صباح الخير ، أيتها الجميلة!

من أجل نظرة منكِ

ألف دينار قليلة

من أجل صدرك

أسير عشر سنوات على الأقدام .

من أجل شفتيك

سأنسى اللغة .

من أجل ساقيك

أكون عبداً .

صباح الخير ، أيتها الجميلة!

امتطي الحصان الأبيض ، وانطلقي كالرمح

سأنتظرك في الغابة .

في خيمة لم يُولَدْ فيها أطفال بعد .

مع بلبل ووردة

مع سرير من جسدي

وبوسادة من كتفي

صباح الخير ، أيتها الجميلة!

***

إنْ لم تجيئني ،

سأستل السكين من قطعة الخبز ،

أمسحُ منها الفتات

ثم أصيبك في منتصف القلب .

أفعى الحب

أدخلي يدَكِ في ثنايا صدري .

ستُخرجين منه أفعى باردة .

أفعى الحب .

أفعى الحب الخضراء .

انظري الى عيني .

أفعى الحب الخضراء لاتنام .

أفعى الحب الخضراء تستطيع القتل . .

كان حبي ذهباً مصهوراً

وقمراً أصفر فوق الخيمة

وكتفيكِ .

والحوافر التي ترن على الطريق الثلجي .
نعم . . هناك حبي . حيث سرى الى راحتيك
وشعرك وشفتيك .
أدخلي يَدكِ في ثنايا صدري .
أفعى الحب الخضراء لاتنام .
أفعى الحب الخضراء تستطيع قَتلكِ
ذَهَبُ حبي ،
قَمرُ حبي ،
ليالي العناق الأولى
تحولت الى ألمٍ ،
الى أفعى باردة العينين ،
الى ناب مفتوح للحقد .

الحزن على الغراب

جرينا خلف الصبيان

الى الغابة الكبيرة

وحول الحقول الواسعة .

الى الغابة الخضراء الكبيرة .

حملنا أواني عميقة

لجوع الفجر الكبير .

***

وتحت الآس الأخضر

اضطجع الفجر .

ونساؤهم الرشيقات

طبخن دجاجاً مسروقاً .

دجاجاً سميناً أصفر

لجوع الغجر الكبير .

***

واجمَلهنَّ

طبخت طعاماً مالحاً .

يا ترى لماذا هذه الكثرة من الملح ؟

الله يعلم ؟

إنها فكرت بمركو

***

لو جاء الى الخيمة فجأة

لاستحال النهار ليلاً!

ليس لي من فرح ،

فقد سرقه طائر اللقلق .

أيّها اللقلق ،

أعِدْ لي فرحي .

الموت

الموت آتٍ
يا إلهي ، لا تدعني أموت .
الموت أمام الباب .
أختبئ تحت السرير .
يا إلهي لاتتركني أموت شاباً!
الموت على العتبة .
أمنيات لم تتحقق .
موت أسود . ليل أبيض .
فقط الموت أسود .
يا إلهي ، لاتدعني أموت ،
فهناك أمنيات كثيرة لم تتحقق بعد .

ألم

ما تمنيته من الله

وهبني إياه .

صبي .

صبي في الحضنِ

آه ، أماه ،

صبي على الصدرِ .

في الحضنِ ، على الصدرِ

ومنه الى القبرِ .

ثأر

أماه ، عِمّي صحة!

اتخذت السبيل ، الذي أراده القدر .

سأقوم بما عليَّ حتى النهاية ،

أو أفقد رأسي .

الوداع! يا أحسن الأمهات .

أبحث عن الغجر ،

الغجر المتربصين في الشارع .

لقد سرقوا أختي

ابنة أحسن الأمهات .

أختي الجميلة

مزقوها أشلاء .

وأنا اتخذت السبيل الذي أراده القدر .

قبر في غابة .

المهد خالٍ .

أغني ترنيمة نوم .

أنا أغني .

لاحياة بدون مهارى فتية

لي ستة مهارى فتية :

ستة شوارع مُجَرَّبة(*) .

اثنان منهما سأبيعهما في السوق

لأجل المتعة .

شارعان لن

أطرقهما أبداً .

أما المهران الآخران فأبيعهما

لأدفن زوجتي .

ها أنذا قد أصبحت أَفْقَر

(*) - يشبه المغني هنا المهارى بالشوارع التي يمر بها ممتطياً المهارى التي سيبيعها .

بسبب شوارع أربعة .

ويبقى لي بعد مهران

للبيع .

بهما أسوق امرأة جديدة .

ولكن ماذا سأفعل حينئذ

بدون مهارى ؟

الشوارع تسرع

وأنا أظل واقفاً!

جماعة متنوعة

في « موستار » بطٌّ مُرَصَّع

في « ميزير » فئران مُحَزّمة .

الذئب في ثوب أخضر ،

الدب في سروال أصفر ،

والدجاجةُ مزيّنة باللآلئ ،

والديك في قماط أبيض

والأرنب يرتدي بنطلون الخنثى .

نزاع

قُلت لكَ

أن تتركني بسلام

وأن لا تمزق كبدي بعد .

تناولت أمي لوح الغسيل ،

خبطت به رأسي .

زوجتي قفزت الى الميزان

لتذهب والميزان الى الشيطان .

« ميلو » أسرع الى العصا

وطار خلفها كالمجنون .

لو نالها ،

لضربها مثلما تنظف الحضائن .

هنا يقفز العجوز

مثل مُهرٍ فتيّ

ويُمزق سرواله خرقاً .

الغجر الأغنياء والغجر الفقراء

الغجر الأغنياء
يملكون خيولاً قوية ،
مطهمة اللجام
مزيّنة بالأجراس .
يمتطون خيولاً مسروقة
ويجولون بها حول هذا العالم الجميل .
أما نحن الفقراء
فنمتطي الخيول الهزيلة
ذات الطواقم المهلهلة
بلا حدوات لامعة .

الدرك ولص الخيول

في الطريق الى «تمسفار»

أمسكني رجال الدرك

اثنان يضربانني

والثالث يسأل :

أين الخيول ،

الخيول المسروقة ؟

- بعتُ الخيول ،

يا سيدي .

- فأين النقود ،

أيها اللص اللعين ؟

- لقد أكلتُ وسكرتُ

والنصف الآخر يا سيدي

أعطيته لك!

هروب

إنهم يبحثون عني ، يبحثون
لكنني هربت منذ زمن بعيد .
لو شاء رجال الدرك الاسراع
ببنادقهم المدوية
فسأحتمي بالظلام ،
واتسللُ الى الغابات ،
وحيث يكون الظلام ،
يتلاشى كل أثر لي .
وحيث تكون شجرة ،
أكون ظلها .
إنهم يبحثون عني ، يبحثون .
لكنني هربت منذ زمن بعيد .

ضائعاً في الظلام .

مثل فحمة صارت رماداً .

أهرب من النهار ،

كي لا أعتمه

اتلبس الظلام

كأدفأ لباس .

احتفال النحاسين

أربعة وعشرون نحَاساً
يرقدون تحت أشجار التوت .
أربعة وعشرون نحَاساً
يعدّون «دوكات» صفراء[*]
مرحى ، يالهم من فتيان!
أسود وأحمر
أحمر وأسود .
أسنان مثل حجر الصوان .

***

نذهب حتى الخمارة .
حيث ينتظر الفرح .

(*) - الدوكا عملة ذهبية قديمة كانت شائعة في وسط أوربا

ويتدحرج من القبو
أكبر براميل الخمر!
لعطش نحَاسٍ
كلوا واشربوا
بحمد الله
هكذا كان ، وهكذا ينبغي أن يكون
وهكذا قال الرب أيضاً .
كلوا وأشربوا ،
مادام هناك نقود في الجيب .
الاعتدال ، هه!
أتعلمون ما الاعتدال ؟
من لايثمل ،
يستحق الضرب
هكذا كان ، وهكذا ينبغي أن يكون .
- ماذا يسري في حناجركم ؟
مرحى يا أماه ، أميمتي!
بنادق تفرقع كالألواح .
سكين تنطلق كالبرق
الى ظلام الجسد .
مرحى يا أماه ، يا أميمتي!

ويبدأ النحّاسون مذبحة :

معتمة ودموية

دموية ومعتمة .

أسنان كأسنان ذئاب فتيَّة .

بوابة السجن

كيف يمكن أن يكون :

خمسـون عاماً وأنا أجول حول العالم

ولمّا أبلغ الرشد .

خمسون عاماً

أتراك تعلم

كم تكون

أيامها والليالي ؟

خمسون عاماً!

هه ، سأموت من الحزن

يقولون : قد أبلغ الرشد ،

الآن حيث أنا في السجن .

كيف يمكن أن يكون!

أقول لهم بأدب :

لا تحزنوا من أجلي

أنا هكذا مثلما أنا

لكنني أعلم أنهم لن يتركوني

خمسون عاماً! أقول

أتراكم تعلمون

كم هي

أيامها والليالي ؟

اسألوا طائر الوَقْوق عن كلماتي

السلسلة الرقيقة تصلصل ،

وتنغلق بوابة السجن

***

أجل . عندما أصبحت راشداً

بكى ظهري

وبكت يداي

وبين الضلوع

يتأرجح القلب

مثل ورقة جافة

على ساق شجرة خريفي

وعندما أصبحت راشداً

تلاشى السجن

مثل سحابة محطمة ،

لا لون له أو رائحة

التهم نفسه من الجوع .

***

كنت مضطجعاً على الألواح

أبداً

لن أستطيع بعد أن أحني ظهري

من أجل عقب سجارة مرمية ،

من أجل ورقة نقود ضائعة ،

أو تفاحة ساقطة .

هكذا غدوت راشداً .

الله والسجن

هب قدرتك أيها الرب

وسلّح الملائكة المجنحين والقديسين الملتحين

بالبرق وسيف اللهب

وهات المفتاح الذي يفتح كل السجون .

عشر سنوات مضت وأنا في السجن .

أبعث بالشمس التي تذيب قيود معصمي

أريد أن أعود الى أطفالي .

سأوقد لك يا سيدي شمعة .

أبعث بجيش السماء .

ماذا سيكلفك ذلك ؟

سأوقد شمعتين في الكنيسة .

وانقذني من السجن!

ماذا سيكلفك ذلك ؟

سأوقد لك ثلاث شمعات ،

في الكنيسة أمام المحراب .

سيدي أغثني ،

أنقذني!

شكوى

إن أفاقت زوجتي

وأمكنها أن ترى

ما أصاب أطفالها ،

لماتت من جديد .

***

إنهم بلا أم ولا أب .

لا أريد الحديث عن إبريق ماء

لا أريد الحديث عن السلسلة

ولا عن عصا الشحاذين غير المجربة .

***

ثلاث سنوات لم أشاهدهم .

أتعلمين كم هي

ثلاث سنوات ؟

ثلاث سنوات ، ثلاثة أحجار .

أربعة جدران .

***

لو شاهدني الأطفال

لخفق لها القلب

وهرعوا إليّ .

***

ثلاث سنوات تميت الأطفال جوعاً .

أتعلمين حقاً

كم تكون ؟

ثلاث سنوات

إن أراد الله أن يسمع

يعلم الرب : أني لست مسؤولاً
عن فَقْري .
أطفالي صغار
لايملكون حتى الملابس الرثة .
يبكون طيلة النهار ،
وفي الليل لاينامون ..
يعلم الله أنهم من الجوع
لاينامون .
ماذا أفعل ؟ لا أدري
أنرمي أنفسنا في النهر ؟
ونغرق بهدوء ؟
حينئذ سيكونون بلا أب وأم .
لا يملكون سروالاً ولا قميصاً .

إذن ، كيف نحن مسؤولون

إن كنا بهذا الفقر ؟

ليس لي من أحد . لا أحد يرعاني .

قدماي عاريتان .

ولا تسأل عن بطني

آه ، لو أراد الله حسب

أن يسمع كلماتي

لأصبح أطفالي

أكثر أطفال العالم سعادة

ولتصاعدت من الإناء

رائحة الذُّرة الرائعة

آه ، لو أراد الله حسب ،

أن يسمع كلماتي!

أمنية

آه ، لو كنت طيراً
أطير أنّى شئت .
لسقطت على قدرٍ ،
قدرٍ كبيرة .
لالتهمت اللحم حتى الشبع
لالتقطت لي قطعة
وانطلقت بها الى الأعشاب .
لئلا يشاهدني أحد ،
ولأستطيع أن أشبع جيداً .
***
آه ، لو كنت خفاشاً
وأسقط من الأعلى

على صدر امرأة!

آه ، لو كنت خفاشاً

المرأة بيضاء ، وأنا أسمر

أغنية الفتاة الصغيرة

أنا فتاة صغيرة .

لي أمي

رقيقة أنا مثل إجاصة

تقبلني أمي وتهدهدني عند النوم .

تضعني في المهد

وتغطيني بوشاحها

تؤرجح المهد

وتغني هامسة :

ليحفظك الرب

من الحسد والمرض

وينعم عليك بالسعادة

وبالغنى الذي لن يرى أبداً .

أنا فتاة صغيرة

لا أستطيع الكلام بعد .

ولا المشي بعد .

أرقد في المهد ،

وأسمع ترنيمة النوم ،

لكنني لا أريد أن أنام .

تأخذني وتهدؤني

وتضمني الى صدرها :

«نامي يا طفلتي نامي ،

اسمعي أمك ولا تبكي .

خيول جميلة ستأتي ،

بأعراف خضراء ،

وسيأخذونك بعيداً ،

حيث كل شيء هناك أزرق وأخضر ،

حيث العسل يتقطر من السماء ،

وحيث تسيل جداول اللبن»

تضعني مرة ثانية في المهد .

أسمع أغنيتها .

ثم أنام .

الحصان الأسود

السيد الذي هنا يا والدي

يريد أن يشتري حصاننا الأسود .

إنه ليس مهلهلاً ولا متعباً ،

إن له فحسب عيباً طفيفاً في الركبة

ثمين حصاننا الأسود :

سبعة ، ثمانية آلاف . .

الملائكة ظفرت عرفه .

على الأغنياء أن يشاهدوا...

انظر فقط يا والدي ، كيف ترقص!
وجُهها يشعُ
مثل الفُلفلة في الفاصوليا .
وخدها حار
مثل الشمس .
جسدها أملس وأسمر
مثل مقلاة متوهجة
تقفز الى ساعدي
وتحلّ جدائل شعرها .
على الأغنياء أن يشاهدوا ،
كيف يعيش الناس الفقراء!

الفتاة والوردة

تحت الشباك
تنمو لي وردة .
عليها أن تنمو .
وعندما تنمو
سوف ينمو نهداي
تحت الثوب .
عليهما أن ينموا
وعندما ينموان
سوف أقطف الوردة
وأضعها بين نهديّ
عليه أن يطلبها .
وعندما يطلبها ،
سيفتح أزرار ثوبي .

رجل مضحك

مَرَرتُ في الشارع .
الشارع الواسع الفارغ .
لم التق شاباً ،
ولا فارساً بشوارب جميلة .
لا أحد بين السماء والأرض
مَررتُ في الشارع .
الشارع الواسع الفارغ .
لم التق بفتاة
ولا بقارئة الحظ الثرثارة .
لا أحد .
لا أحد خلال الغابة ولا عبر الحقول .
مررتُ في الشارع .

حيث التقيت رجلاً جميلاً .

ذا عينين خضراوين ،

وظهر منحنٍ ،

وإبهامي قدميه معوجان

وأضلعه مكسرة .

هه ، يا حزني الصغير ،

ماذا أفعل بك ؟

هل أهديك ؟

أبيعك ؟

أم أحملك معي ؟

مهر

هه ، أيتها البنت المحظوظة!

كبرتِ مثل شمعة

واشتد ساعدك مثل كنيسة .

هه ، أيتها العروس ذات الشعر الأسود ،

ماذا ستجلبين معك من أبيكِ

***

عينيَّ الاثنتين ،

عينين مثل إجاصتين .

هه ، أيتها العروس ذات الشعر الأسود ،

ماذا ستجلبين معك من أمك ؟

***

عينين سوداوين ووجنتين فاتحتين ،

حاجبين كثيفين منعقدين ،

وكذلك كيس مهر :

شرشفاً ممزقاً ،

لحافاً قديماً .

وثوب نوم مرتقاً .

أحزان «ميسيفا»

إنها تبكي ، «ميسيفا» تبكي ،
تشكو معدتها .
«ميسيفا» اضطجعت
على الفراش الواسع .
خذني يا «ياشار» ،
الى أحسن طبيب!
«ياشار» قدم لها
نبيذاً وكحولاً حاداً .
والآن يا «ميسيفا» ،
لديك الدواء لكل الأمراض .

« ميسيفا » ذهبت
الى الطبيب .
ووجد الطبيب
رملاً في معدتها .
وهنا يا « ياشار »
ليس ثمة من عقاقير طبية
تنفع لي بعد .
وبعيداً في حمّام ،
اختفت « ميسيفا »
في حمام بعيد ،
خلف ظهر الله .
« ميسيفا » خبزت .
أقراص خبز وفطائر .
والتقت « اشميته »
في الحمامات البعيدة .
- هل يمكن - يا « ميسيفا » -
أن نتشاجر
بسبب أطفالي الخمسة ؟
- ألا تخجلين يا « أشميته » ؟!
وقدمت « ميسيفا » على قطعة قماش
أقراص الخبز الواسعة والفطائر .

وعندما سمع « ياشار » ذلك

امتلكه الغضب ،

واعتزم

أن يتزوج امرأة أصغَر .

وليمة عرس في الخريف

لا أجيء الى القرية دون مشاكل!

أعراس وأعراس

ما أكثر أعراس الخريف!

أترجل الى الحديقة ،

لآكل وأشرب ما أريد

ما أكثر أعراس الخريف

أشرب ، آكل ولا أستطيع أن أكون نقياً!

أملأ قمطرتي وجيوبي .

ما أكثر أعراس الخريف!

أملأ قمطرتي وجيوبي

وأملأ خراجي

مرحى ، يا احتفالات الخريف

هكذا ينبغي أن يكون .

وهكذا احتفل معه .

تحدٍّ

يُغير الغجر على حانة ،

إنها تمطر ، والغجر يشربون .

الغجر يشربون ثلاثاً أو أربعاً ،

بينما نساؤهم سبعاً أو ثمانياً ،

الغجر يشربون ثلاثاً أو أربعاً ،

ليخمدوا الغيظ على نسائهم .

والغجريات يشربن سبعاً أو ثمانياً ،

ليردُدْنَ الغضب على الرجال .

الأرمَلَة

عصفور يخفق بجناحيه

وأرملة بعينها .

يا رب . هبني

الأول ، الذي يأتي .

وإن لم تُرد الأول

إلهي فهبني إذن

الثاني

الخائنة

انظر الى شكل المرأة هذه :
شالها من الحرير ،
خفّها أحمر ولمّاع
قلادتها من ذهب
إنها تريد حبيبي ،
تأخذه الى عربتها ،
تلك المومس .
في عربتها مخدع ناعم :
سرير ووسائد كثيرة .

يمكن النوم عليه جيداً .
انظر الى شكل المرأة هذه :
شالها من الحرير ،
النزق يتطاير من نهديها
وتعشش في يديها الرغبة .

عندما أموت

أرقد في السرير
عيناي مغمضتان
واليدان مصلوبتان على الصدر .
تمددت بكل طولي .
مثلما أتمدد في التابوت
وشمعة أخرى تحترق بين الرؤوس .
ويسمعُ المرء أغاني الشكوى .
أمي تنوح من حولي .
تلطم على الصدر .
كفي يا أماه!
أرقد في السرير .
عيناي مغمضتان .
لم يبق شيء سوى أن تأتي العربة السوداء

أصدقائي هنا .
رباباتهم تحت آباطهم
بدأوا يعزفون على مهل
الأم تبكي
وأصدقائي يعزفون
الفتيات يغنين بهدوء ويبكين
إنهنّ يغنين عن الزمن الذي عشته
أي فتى أنيقاً كنت!
وكيف اتخذت المسافات الطويلة
على جواد أشهب!
وكيف استطعت ذلك!
عن هذا لايستطيع أحد أن يغني
لا الريح في الأغصان
ولا المطر عند الغسق .
حتى فاطمتي تظهر عند القبر وتتطلع الى التابوت
يزاحمها المغنون ،
والفتيات يطردنها من البيت ،
وتومئ أمي إليها بحزن

فاطمة تذهب وتبكي .

الخائنة

الآن تعلم من خانت

وأي رجل فَقَدتْ .

الخائنة فنچيا

لقد خنتني يا فنچيا!

ماذا عملت كي تتركيني هكذا ؟

مع آخر تتوارين

خلف البيدر

شاهدتك ، أيتها الخائنة ،

كيف تضحكين من المتعة ،

لكوني وحيداً تُركت!

انتظري ، أيتها المومس البائسة ،

ستسقطين في يدي!

كنت عاهرة

وكعاهرة ستموتين

سأقذفك على المائدة ،

ايه ، فنچيا . .

وأقطعك

مثلما أقطع الكرنب .

عتاب

ايه ، ياامرأة!

ليأخذك الشيطان

بعيداً عن عيني

أنت وأمك

خمسمائة دينار قامَرْتِ بها .

إنها ليست دينارين ،

ولا خمسين من الفضة

جمعتها بتعب عيوني!

خمسمائة!

أوي ، خمسمائة ضربة تستحقين

على مؤخرتك العجفاء

سأبيع سريرك

وستنامين على القش مثلي

وسيؤلمك ظهرك .

قارئة الطالع

اذهبي واقرأي الطالع في القرية ، يا امرأة!
حيث المنجل يحصد الذهب
وحيث تسقط الفضة من الأغصان
ويتحول البطيخ الى قطعة من الذهب
اذهبي واقرأي الطالع في القرية ، يا امرأة!
لسان مثل حلاوة العسل
بين النهدين زهرة ذُرة
في الحضن تهرهر قطة
اذهبي واقرأي الطالع في القرية يا امرأة!
استيقظي
استيقظي ، أيتها الأنثى ، استيقظي ،
وأوقدي الشمعة
جلبت خيولاً

بسرية تامة ،

أربعةً سمراً

ومئزراً لكِ

مطرزاً بالذهب .

استيقظي

استيقظي ، أيتها الأنثى ، استيقظي ،

وأوقدي الشمعة .

جلبت خيولاً

بسرّية تامة ،

أربعةً سمراً

ومئزراً لكِ

مطرزاً بالذهب .

ترنيمة نوم

وَضَعتُ المهد تحت شجرة الإجاص
لقد ولد الطفل معافى
المطر يهطل فيغتسل به
الأوراق تتهاوى فتغطيه .
المعزة تمرق لترضعه .
والريح تهب فتهدهده
نَمْ يا صغيري ، نَمْ هادئاً
إصغِ الى أمك
ولا تبكِ .

إباء

مرحى أماه ، أنا فتى غجري

ستة خيول أسوقها أمامي

***

مرحى ، أماه ، أنا لستُ فتى غجرياً

فخلفي تسير فأرة ، حزينة منكسة الرأس .

غجر سلاتينا

الغجر الذين يصنعون الخواتم الأنيقة
يصنعون الكثير منها في يوم واحد .
أخذوا حبالاً وذهبوا لجلب الأخشاب .
وتحت شجرة الزان حزموا الظلال .
غجر سلاتينا ،
أشهر الغجر ،
ذهبوا الى الحقل
لجمع سنابل القمح .
في ثلاثة أيام
ملأوا كيسين .

الغجر والدرك

هناك يقف دركيان ،

سألاني إن كنت أملك أوراقاً .

لدي أوراق ولكن لا هوية عندي!

لا هوية لهذا الحصان الجميل .

أوي . أماه ، إلعني هؤلاء الدرك

لا بأس أن يحرّضوا عليّ

السيء أن يقتادوني

لا بأس أن يضربوني

السيء أن يستجوبوني .

لدي أوراق ولكن لا أملك عَقداً .

لا وثيقة لا هوية لهذا الحصان ،

لابأس أيضاً أن يقتادوني

لكن السيء إن أرادوا احتجازي .

طلب

انظري يا أماه الى تلك الفتاة ،

التي ترقص بالفستان الأحمر ،

انظري بنفسك يا أماه ،

واطلِبي لي يدها

أشعر بشهية الى القَرَعْ

وأريد أن أرقص في « كولو »

وأشرب النبيذ الأحمر .

انظري بنفسك الى الفتاة يا أماه!

حجرتي باردة بلا جسدها .

كتفاي عاريان بدون يديها .

لي رغبة في القَرَعْ

وأريد أن أرقص في « كولو »

نستطيع أن نعانق بعضنا

وننام حتى الصباح

الغجري والأفعى

شجرة دردار خضراء

ظل أخضر ،

عشب أخضر

هناك الأفعى الحمراء

شجرة دردار خضراء

ظل أخضر

عشب أخضر

قفزت الى صدري ،
الحمراء القاتلة .
أماه ،
ضعي يدك في صدري
وأخرجي الأفعى الحمراء
أماه ، الأفعى الحمراء
- كلا ، لا يُسمَح لي بذلك يا ولدي
لكن اذهب الى أبيك .
أبتاه ،
ضع يدك في صدري .
- كلا ، لا يُسمَحْ لي بذلك يا ولدي .
اذهب الى أختك .
أختاه ،
أخرجي الأفعى
الأفعى الحمراء ، يا أختاه .
- كلا ، يا أخي ، لايُسمح لي بذلك
لكن اذهب الى العاهرة ، يا أخي .
أيتها العاهرة ، يا عاهرتي الصغيرة
ضعي يدك في صدري
وأخرجي الأفعى الحمراء .

***

حينما سمعت العاهرة ذلك

فتشت الملابس

حلَت منها قطعة حرير

لفَت يدها ،

أخرجت الأفعى الحمراء

خبطتها على الأرض

وأخذت مني خمسين «دوكية» ذهباً .

اعتراف

واحد ، اثنان ، اثنان وعشرون
دعيني أضع حبة قمح
في فمك
واحد . اثنان . اثنان وعشرون
سأعضك من عينيك
واحد . اثنان . اثنان وعشرون
عشرون رجلاً قد أبْدَلَتْ
ولا تزال ترغب فيّ
واحد . اثنان . اثنان وعشرون
سأقضمك كالتفاحة
واحد . اثنان . اثنان وعشرون
لو شاهدت نهديك ،
سأنسى حتى خيولي
واحد ، اثنان . اثنان وعشرون

عشر مرّات أبدَلتُ المرأة ،

وثانية أرغب فيك .

واحد . اثنان . اثنان وعشرون .

عشرون مرة سأُبدل

وثانية سأشتهيك .

واحد . اثنان . اثنان وعشرون .

سأترك أمي وأبي .

كلا لن أفعل ذلك .

الراقصة

إنها مجنونة بالرقص .

اسمعي أيتها الراقصة!

عندما ترقصين ، فهذا شأنك ،

ولكن ليس الآن .

إنها مجنونة بالرقص .

اسمعي حقاً أيتها الراقصة!

مات والدك ،

الوحيد الذي لديك

ألا تعلمين أي والد هو ؟

إنها مجنونة بالرقص .

***

ماذا تريد ، أبيض بين السود .

لو يموت ، ينبغي أن يموت ،

إن مات ، فهذا يحزنني

لذا لا أستطيع

أن أترك الرقص .

غيرة

ذَهَبَتْ ياسمين الى الخباز
لتخبز الخبز .
وراء ياسمين ذهب حسن أيضاً ،
ولكن الى الحداد .
هه ، أيها الحداد ، اسمع ما أقول :
اشحذ لي سكيناً حادة ،
لأنحر بها ياسمين ،
أُخرج بها أحشاءها
ياسمين عاهرة
وأجلب أحشاءها الىٰ أمها ،
هه ، سأقول لها
اسمعي أيتها العجوز الشمطاء!

لقد قتلت ابنتك ياسمين .

وها هي أحشاؤها .

فلتنوحي الآن .

فلم يبق غير النواح .

فقدان الحبيب

لا أحد يعلم ، مقدار حزني
اليوم تزوج ، دون أن يفكر بي .
هذه الليلة سيتذوق طعم حب امرأة أخرى .
عندما ينهض من حجرته ستقدم
له القهوة في أبريق من النحاس
وعندما يخرج ، سترافقه
حتى الجبال . وعندما يعود
ستنتظره بشوق أمام الباب
لا أحد يعلم ، مقدار حزني
مراعي الخيول تغني أغنية حب .

لا كلمات تنطق اسمي ، فاسمي لا كلمات له .

على المائدة تسطع الألوان بهدايا العرس

عارية تترك الغرفة وتعانقه

بذراعين واسعتين .

الرجل المتروك

تنهمر السماء ويهطل المطر

رجل يجلس على قارعة الطريق ويبكي .

يجلس ، يبكي ويصلي الى الله .

رحلت المرأة . إنها بخير .

إنها ترحل الى مكان ما ،

مع شابٍ بشارب كث .

في الطريق يتوقفان عند مرعى ،

تشوي له دجاجاً .

زوجها لم يشوِ لها دجاجاً . ولا مرة .

لهذا فهو يبكي!

لا أحتاج أكثر

لي زوجة جميلة
وأربعة أطفال .
هم صغار : أربعة
صغار ذوو وجوه رثة .
لي زوجة جميلة
ولا أحتاج أكثر .
البيت مملوء بالأطفال
لي زوجة جميلة
وأربعة أطفال
ولا أحتاج أكثر
أستطيع أن أغمض عيني
وأموت .

لقد ملأتُ البيت بالبكاء ،

والمائدة بالأفواه الجائعة

والسرير بجسد عارٍ .

لي زوجة جميلة

وأربعة أطفال

ولا أحتاج أكثر .

لماذا ينبغي أن لا أموت ؟

الرعب من الموت

لا أحد يستطيع مساعدتي
إن الموت آتٍ
من ذا الذي سيحزن على الغجري ؟
ساحة بلا سياج
بيت دون سقف وشبابيك .
الغجري يموت
ولا يتألم اليوم الأبيض فوق الجبل
ولا شوارع العالم البيضاء .

من سيبكيني إذن ؟

ساحة بلا عيون ودموع

لا دار تفهم البكاء .

والشارع الأبيض يسرع عبر العالم ،

ثم يعود ليقول لي :

أبداً لن تمتطي فرساً عربيةً .

إن الموت آتٍ .

لا أقوى على صَدّهِ .

أصرخ فيه ، لكنه لا يرتعب

وأنزوي الى حجرتي .

أرتجف وأرتجف . .

لا أحد يراني .

ليس لي من أحد .

لو اجتمع كل الغجر

فلربما استطاعوا أن يرعبوا الموت الأسود

لو تجمعوا حولي!

لكنهم يهجرون الى الطرقات

لا يهمهم أمري

إنهم هناك . . يذهبون بعيداً عني

وأنا أموت .

المحتويات

الكتاب للجميع

هكذا نريده؛ إيماناً بكونه قيمة تحتفظ بحجمها وفاعليتها مدى العصور.

وإذ شرعنا فعلاً بإنتاج هذه السلسلة من الكتب القيمة التي نشرت خلال العقود الماضية وتعذر وصولها إلى قارئ اليوم، فإنما نهدف إلى إشاعة المعرفة وتيسير وسائلها وتمكين القارئ من الوصول إلى الينابيع الفكرية ذات التأثير في حركة الثقافة وتاريخ الفكر، بأيسر السبل وأقل التكاليف.

ونأمل أن تكون سلسلة (الكتاب للجميع) إنجازاً فعلياً ووسيلة ميسرة تتيح للقارئ تكوين مكتبة ذات مساحة منفتحة على مختلف فروع المعرفة بكلفة لا تثقل عليه.

كل الأطراف المشاركة في
هذا المشروع العربي متنازلة
عن حقوقها لصالح القارئ



سلسلة كتب شهرية
توزع مجاناً
مع الصحف التالية

الاتحاد	العراق
البيان	الإمارات
الأيام	البحرين
الثورة	سورية
الحياة	السعودية
السفير	لبنان
القاهرة	مصر
القبس	الكويت
المدى	العراق



ISBN:2-84305-746-X
9 782843 057465